مجلة دراسات إنسانية واجتماعية / جامعة وهران02/ المجلد 13 ع 01، 16 /01 / 2024
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

عودة الدين إلى الفضاء العمومي في مشروع هابرماس

The Return of the Religion to the Public Space in Habermas Project

محمد ميلودي Mohamed Miloud * mohamedmiloudimohamed1@gmail.com	فلسفة	مخبر علم النفس العصبي والاضطرابات المعرفية والسوسيو عاطفية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.
د رياض طاهير Riad Tahir Tahirriad@gmail.com	فلسفة	مخبر علم النفس العصبي والاضطرابات المعرفية والسوسيو عاطفية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.

DOI : 10.46315/1714-013-001-10

الإرسال:2023/06/30 القبول: 2023/10/11 النشر: 2024/01/16

**

Abstract:

The main goal of this study is to highlight an important point in the contemporary western thought and the question of the return of the religion

From the standing point of the German philosopher and Thinker...who tried through his studies to put new approach beyond his last view to the question of religion .through a new suggestion .post secularism so he wanted to renew the rules and guidelines which seculars and religious people are obliged to follow to build a good debate far from violence and extremism.

Keywords: Religion; Secularism ; Public Sphere ; Post-secular society ; Habermas.

ملخص:

تهدف دراستنا هذه إلى محاولة تسليط الضوء على مسألة مهمة في الفكر الغربي المعاصر وهي مسألة عودة الدين وانبعاثه من جديد من خلال مقاربة الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس والذي حاول من خلال دراسته وضع مقاربة جديدة متجاوزا رؤيته السابقة للمسألة الدينية وفق مقترحه مجتمع ما بعد العلمانية حيث أراد من خلاله تحديد الإجراءات الواجب إتباعها من طرف العلمانيين والمتدينين للدخول في نقاش وحوار متبادل يقوم على التسامح ونبذ العنف والتطرف والإقصاء . **كلمات مفتاحية: الدين؛ العلمانية؛ المجال العام؛ مجتمع ما بعد العلمانية؛ هابرماس.**

**

*- مقدمة :

نتيجة للأحداث والمستجدات التي عرفها العالم في الفترة المعاصرة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية كتصدع المعسكر الشيوعي وتنامي الأصوليات الدينية والصراعات السياسية وانتشار ظاهرة العنف وما خلفته هجمات الحادي عشر من سبتمبر على الوضع الأمني في العالم، إضافة

*- الباحث المُرسل : mohamedmiloudimohamed1@gmail.com

إلى المخلفات السلبية لمشروع الحداثة وما أحدثته من أزمات بسب السيرورة العقلانية وتنصيب العقل الأداتي لتسيير شؤون المجتمعات الغربية وحل مشاكلها المختلفة المتعلقة بحياة الإنسان، كل هذه الأحداث عجلت بظهور موضوع عودة الدين إلى الواجهة السياسية والفكرية بحيث أصبح هذا الموضوع أحد اهتمامات الفلسفة المعاصرة، والذي تعددت وجهات النظر حوله واختلفت، ويعد الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس من الفلاسفة المعاصرين الذين أولو أهمية كبرى للتحولات السياسية والفكرية التي عرفتها المجتمعات الغربية حيث سعى من خلال طرحه إلى إعادة تفعيل وإبراز دور الدين في الفضاء العمومي بعد القول بأفوله ونهايته وفق وضع قواعد عقلانية أخلاقية كونية داخل الفضاء العام يحتكم إليها المشاركون خلال نقاشاتهم.

أهمية الدراسة :

يمكن إدراج هذه الدراسة ضمن حقل فلسفة الدين والتي أراد هابرماس من خلالها وضع حد للعداء التاريخي بين الدين والعلمانية ضمن مقاربة جديدة تقوم على تحديث الوعي الديني من جهة واحترام العقل للقناعات الدينية من جهة أخرى وفق مطلب الحرية ضمن سياق مجتمع ما بعد العلمانية والذي يؤسس للرؤية الكونية والتعددية الثقافية والدينية .

أما الإشكالية :

من هذا المنطلق يمكننا أن نطرح الإشكال التالي : ما التحديات التي جعلت هابرماس يعيد التفكير في منزلة الدين داخل الفضاء العام ؟ وما هو موقفه المتأخر من الدين ؟ وأي دور للدين داخل الفضاء العمومي؟

المنهج:

فيما يخص المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التحليلي، فمن خلاله سنعتمد على عرض وتحليل الإشكالية المطروحة في بحثنا للوصول في الأخير إلى أهم المقاربات التي وضعها هابرماس لموضوع عودة الدين بعد تهميشه داخل الفضاء العام

1- في مفهوم الفضاء العمومي : يعتبر مفهوم الفضاء العام من المفاهيم الأساسية التي أسسها الفكر النقدي وأخذت حيزا واسعا في الفكر السياسي المعاصر والذي ارتبط ظهوره بالفيلسوف الألماني هابرماس حيث أراد من خلاله تكوين فضاء للتواصل وحل المشاكل وتبادل الأفكار والآراء، يعتقد هابرماس أن الفضاء العمومي والذي بزغ نجمه في القرن الثمن عشر كتب عليه الوئبة والتطور بوصفه فضاء سوسيولوجيا متميزا عن الدولة والاقتصاد والأسرة إذ أنه من خلال الفضاء العمومي يتسنى للبشر أن يتواصلوا فيما بينهم كأفراد مستقلين من أجل التداولية على الصالح العام (هابرماس، وآخ، 2013، صفحة 181).

الفضاء العمومي يتميز بالتعبير الحر فالجميع يعبر عن رأيه بحرية وشفافية، كما أنه فضاء للتواصل من خلال النقاش العلني لإيجاد حلول تخص الشأن العام، وبالنسبة لهابرماس يعد الفضاء نتاج فترة زمنية محددة والتي شهدت صعود الطبقة البورجوازية في الغرب المسيحي وهي الطبقة المتوسطة، المتعلمة، المثقفة وهي التي ينطلق منها هذا الفضاء ذلك إن " الفاعلين في المجال العام الحديث ينتمون إلى الطبقات الوسطى المتعلمة والى البورجوازية "(سلفاتوى أ، 2013، ص15)

ويعرف هابرماس الفضاء العمومي في كتابه الحق والديمقراطية " انه بنية تواصل منغرسة في العالم المعيش بواسطة قاعدته المتكونة من المجتمع المدني "(Habermas.2012.p386) انه فضاء مفتوح للنقاش والحوار بين المواطنين من جهة ومن جهة أخرى هو حلقة مفصلية بين السلطة والمواطنين، فهو فضاء تناقش فيه الأفكار من طرف الجميع بهدف التغيير والوصول إلى حل للمشاكل إنه المجال الذي يتم فيه النقاش والحوار الحر بين مختلف الأفراد حول الشؤون العامة المشتركة (زتيلي، خ، 2014، ص162)، إن هذا الفضاء يقع بين الدولة والمجتمع وينقل حاجيات المجتمع إلى الدولة من خلال النقاش داخل هذا الحيز" كدائرة التوسط بين المجتمع المدني والدولة فهو الفضاء المفتوح الذي يجتمع فيه الأفراد لصوغ رأي عام والتحول بفضله إلى مواطنين تجمعهم آراء وقيم وغايات واحدة (مصدق، ح، 2005، ص06)، لقد كان لهذا الفضاء العام والذي تتأسس بفضل الطبقة البورجوازية، الدور الهام والفعال في أشكال التقدم والتطور الذي عرفته الدول الغربية في ميادين مختلفة، "يرجع الفضل في استقلالية وتقدم الفضاء العمومي البرجوازي إلى ازدهار الصحافة، مع رأي عام يتشكل خاصة من سكان المدن وبرجوازيين"(نور الدين، ع(2014، ص236)، ففي ظل هذا الفضاء تتجسد الديمقراطية والحرية والمصلحة العامة ويتواجد التواصل الاجتماعي "يشير الفضاء العمومي عند هابرماس إلى مجالات التواصل القائمة في المجتمع أي المجالات التي تسمح بتبادل الأخبار والأفكار والآراء وتناولها وتداولها وتمحيصها من أجل تكوين ما يسمى بالإرادة العامة أو صوغ ما يسمى أيضا بالرأي العمومي" (المحمداوي، ع، 2014، صفحة282) . فالفضاء العمومي مدام متعلق بالجماعة ويناقش قضايا في الشأن العام فهو يشكل فضاء للتحاور والتفاهم فهو ليس مغطى ولا خارج دائرة التجارب الإنسانية، وإنما يشكل فضاء رمزيا يتكون ويتشكل عبر الزمن ويحتاج إلى بلورة مفردات ومنظومات قيم مشتركة واعتراف متبادل بالشرعيات المتعددة الخاصة إلى فاعل ورؤية متقاربة حتى يصبح من الممكن النقاش والاعتراف والتشاور. (عبد اللاوي، ن، 2012، ص 202).

2- أزمة الحداثة وتشكل الخطاب النقدي حول حكاياتها واستعادة سؤال الدين :

إن ما أفرزته الحداثة الغربية من منجزات أفرز في المقابل العديد من التجاوزات والأزمات والتي أصبحت تهدد الإنسان خاصة وأن ما نادت ووعدت به لم يتحقق واقعيا في ظل سيطرة التقنية والعقلانية الأداتية، إن الظروف المأسوية التي عرفها الإنسان المعاصر خلال القرن 20 ولاسيما أوضاع ما بعد الحرب العالمية الثانية جعلته يفكر في طلب السعادة والطمأنينة وراحة البال، في ظل هذه المستجدات العلمية والواقعية التي فرضت عليه العيش في قلق وتوتر واغتراب بل أكثر من ذلك أصبحت تهدد حياته " إن الحياة التكنولوجية والمادية أضعفت قوى الإنسان وأصبح الإنسان أكثر سلبية واستلابا، وتقلصت أبعاد وجوده في بعد واحد يتمثل في البعد الاستهلاكي فقط وعليه لم تستطع العلمانية أن تجيب عن أسئلة الإنسان الصميمية، ولم تقدر على حل مشكلات عصره مما فتح الباب أمام الدين كفضاء يفتح للذات أفقا جديد للنظر والتأمل وإضفاء معنى على حياته (ربوح، وآخ، 2015، ص194)، إن العقلانية الحديثة جعلت الإنسان يعيش حالة من الاغتراب فالتقدم العلمي يعد سببا رئيسيا من أسباب تأزم الحضارة الغربية خاصة وأن مشروع الحداثة غيب الجانب الروحي للإنسان واختزال جميع أبعاده في بعد واحد هو البعد الاستهلاكي ونادى بعقلنة جميع الميادين وبالتالي فإن مشروع العقلانية لم ينتهي إلى تحرير الإنسان والارتقاء به في أفق المعنى بل عكس ذلك خلق له أزمات وجعله يعيش معزولا عن القيم التي اثبت التاريخ أنها المصدر الأساسي لسعادته، إن العقل الأداتي الذي أنتجته الحداثة الغربية ساهم في جعل أواصر التواصل والتفاعل بين البشر في واقعهم الاجتماعي هزيلة، حيث غرق الإنسان المعاصر أكثر فأكثر في الوحدانية والفردانية (محمد، ق، 2021، ص94)، إن عودة سؤال الدين إلى الساحة الفكرية في الغرب يشير إلى أن الحداثة تعيش أزمة وتوترا وهاجسا وقلقا لأنه عاد العنصر الذي أبعدته وأزاحته وهمشته ليعود مجددا ويفرض نفسه " لذلك فالمآلات التي انتهت إليها الحداثة أفضت بها إلى نقيض مقصودها، كما يؤول ذلك الفيلسوف الفرنسي المعاصر جون بوديار، فإقصاء التراث باسم الحداثة، ونفي الدين باسم العقلانية، وعقلنة الأسطورة وعلمنة المقدس وأنسنة المفارق لم تنتبه (أي هذه الآليات) إلى المفاعيل العكسية، والتي تعمل في الخفاء، ولا تنقطع عن إنتاج الصدمات وتفاجئ الإنسان من حيث لا يحتسب." (بلعقروز، ع، 2010، ص23)، إن الحديث اليوم عن عودة سؤال الدين في المشهد الفكري المعاصر هو نتيجة حتمية لإعطاء الشرعية الكاملة للعقل الإنساني والثقة العمياء في قدرته على تسيير حياة الإنسان، كما أن تقويض الخطاب الأنواري لدور الدين وحصره في المجال الخاص للفرد وإقصائه من المجال العام خلق تأزما حضاريا وأحدث فجوة كبيرة بين العقلانية الحداثية والمعقولية الدينية " إن عودة الدين لم تصبح ممكنة إلا خارج خطاطات الأنوار، وانهيار صرح الحكايات الميتافيزيقية الكبرى، واضحت من مخلفات

الوهم الفلسفي وصف الظاهرة الدينية من زاوية كونها وعيا زائفا (ماركس) أو أفلاطونية مخصصة للشعب (نتشه)، أو مستقبل وهم (فرويد) أو انثروبولوجيا تم تحويلها إلى ثيولوجيا (فويرباخ)، لأن الملمح الجوهري للفكر الفلسفي المعاصر هو إعادة التفكير في اللامفكر فيه واكتشاف أن الدين لا يقل عقلانية عن العقلانية نفسها. (بلعقروز، ع، 2010، ص 24)،

تطوررؤية هابرماس للدين :

إن المتتبع والقارئ للمسار الفكري للفيلسوف الألماني هابرماس وريث مدرسة فرانكفورت يتبين له أن هناك محطات أساسية شكلت الرؤية الهابرماسية اتجاه موضوع المسألة الدينية حيث لم تكن هذه المسألة مطروحة في كتاباته الأولى وهو المعروف بأنه كان متأثرا بالفكر الماركسي الذي كان معاديا للدين ويعتبره عنصرا غير مهما وهامشيا، إضافة إلى تأثره كذلك بمقولة ماكس فيبر" فك السحر عن العالم " والتي تؤكد على نزع الطابع الميتافيزيقي عن المعرفة وإتباع مسار العقلنة المتنامية في الغرب والتي ساهمت في تقليص دائرة الدين وتصنيفه ضمن مقولات الفكر اللاعقلاني يقول هابرماس " إن فك السحر تلاه فك التصورات الدينية للعالم وهو ما أوجد في أوروبا ثقافة لا دينية تعد بالدرجة الأولى عملية عقلانية " (هابرماس، ي، 1990، ص08).

لقد تعامل هابرماس مع سؤال الدين وفق منظورين مختلفين :

أ-المنظورالأول : نظر إلى الدين من منظور التطور البشري والذي قسمه إلى ثلاث مراحل :

مرحلة الرؤية الكونية الأسطورية

مرحلة الرؤية الكونية الدينية الميتافيزيقية

مرحلة الرؤية الكونية الحداثوية (غفاري، ح، 2017، ص 83) التي يتبناها ويدافع من خلالها عن فكرة تنحي الدين عن الفضاء العمومي ويوجه نقده له بوصفه استلابا وليس له أهمية في مناقشة القضايا السياسية والاجتماعية وينحصر دوره في اعتباره مسألة ذاتية وقناعة شخصية تنتمي إلى العالم الذاتي للفرد، فكان اهتمامه منصب بشكل أساسي على الدفاع عن عقل الحداثة والتنوير، إضافة إلى تأثره بالأحداث التي قذفت بالدين في المشهد السياسي بقوة منذ سبعينيات القرن الماضي، وفي منتصف التسعينيات يقر هابرماس" إني غير متعود على المناقشات اللاهوتية ولا أتحرك طوعيا إلا قليل على أرضية لست عارفا بها بصورة كافية " (خمسي، الدريدي، 2021، ص15)

إن هابرماس لم يتناول موضوع المسألة الدينية بشكل أساسي في كتاباته قبل سنه 2000 إلا ضمن نطاق ضيق، فالحجة الرئيسية التي تؤكد بأن هابرماس لم يجعل من الدين مركز اهتمامه في البداية قبل تحوله إلى دراسة قضاياه هو ما ذكره في كتابه " الخطاب الفلسفي للحداثة والذي

مفاده " إن العقل التواصلي الذي أدعو إليه ورغم صفته الإجرائية، فهو متحرر من كل ما هو ديني أو ميتافيزيقي، وهو ما يجعله ينخرط دفعة واحدة ضمن سيرورة الحياة الاجتماعية، ونظرا لأن أفعال الفهم المتبادل تلعب دور آلية ترمي إلى تنسيق العمل، لذلك فالأعمال التواصلية تشكل نسيجا يتغذى من موارد العالم المعيش" (Habermas1998.p373)

ب -المنظور الثاني:

هناك تحديات راهنية طرحتها المستجدات الدينية على الفكر الغربي المعاصر جعلت الكثير من المفكرين يعيدون النظر في أفكارهم حول المسألة الدينية بل ومراجعة مواقفهم اتجاهها، فمن خلال فكرة تزايد الاهتمام العمومي بالدين على المستوى العالمي في الساحات العمومية باعتبار أن الدين يؤدي وظيفة جديدة، من خلال الرجوع إلى الوعي الديني في معالجة القضايا المطروحة على المجتمعات العلمانية الجديدة بفضل التسارع التقني والذي أدى إلى أزمة الحداثة، فلقد بات الدين حاضرا ضمن فعاليات واتيقا النقاش العام ليستشار في قضايا الشأن والرأي العام والمجتمع ضمن محادثة تضم مختلف الفاعليين الاجتماعيين، ومن بين هؤلاء الفلاسفة الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس الذي تراجع عن موقفه السابق حول المسألة الدينية وأصبح يولي لها اهتماما في كتاباته الأخيرة نتيجة جملة من التحولات والتي جعلته مدفوعا للتفكير في المسألة الدينية ونذكر منها:

-خريف 2001 بمناسبة تسليمه جائزة السلام التي تمنحها رابطة الناشرين الألمان، ألقى هابرماس خطاب بعنوان " الإيمان والمعرفة "

-بعد هجمات 11سبتمبر2001 وما تبعها من نقاش حول الدين الإسلامي

-في العام 2002 يصدر بالإنجليزية كتاب بعنوان "الدين والعقلانية "، مقالات في العقل، الرب والحداثة

-في العام 2004 شارك في حوار مع الكاردينال " يوزف راتسنفير"الذي يصبح بابا الكنيسة الكاثوليكية في افريل 2005

-افريل 2005 يشارك في مؤتمر دولي حول " الفلسفة والدين " بدولة بولونيا بعنوان " الدين في المجال العام (عطار، أ، 2012ص 65 66)

-قدم مداخلة هامة في مشاركته ضمن فعاليات الملتقى الدولي بورقة عنوانها " مجتمع ما بعد العلمانية ماذا يعني ذلك ؟ وهذا في سنة 2008

عبر هذه المحطات وجد هابرماس نفسه مهتما بسؤال الدين حيث أصبح رهانا جديدا بالنسبة له في ظل تنامي دوره في الحياة المعاصرة، فالفكرة القائلة بزوال الدين في المجتمعات المعاصرة وانتصار العلمانية هي فكرة في حاجة إلى مراجعة نقدية وهذا ما دفعه إلى القول "إن القناعة

العلمانية التي مفادها بأن الدين سيختفي في جميع أنحاء العام لم تعد ممكنة(...) لأنه توجد ثلاث ظواهر متداخلة تخلق الانطباع عن عودة الدين في جميع أنحاء العالم وهي :

أ-انتشار الدعوات التبشيرية

ب-ظهور الحركات الدينية الأصولية الجديدة

ج- ظهور العنف الديني (الهلالي، ع، 2018، ص86)

إن هذه الأحداث المذكورة ما هي إلا مبررات لعودة الدين من جديد رغم القول بأفوله ونهايته لأنه أصبح ضروري في حياة الإنسان المعاصر فهو بحاجة إلى البعد الروحي والقيم الإنسانية في ظل استفحال ظاهرة العلمانية، فالعقل اليوم هو في حاجة للدين كمورد للمعنى

لقد أشار تايلور إلى موقف تطور هابرماس من المسألة الدينية بقوله " بالنسبة إلى هابرماس فقد ظل يشير إلى قطيعة معرفية بين العقل العلماني والفكر الديني، مع منح الأفضلية للأول، فيمكن أن نكتفي بالعقل العلماني للوصول إلى النتائج المعيارية التي نحتاج إليها مثل تأسيس شرعية الدولة الديموقراطية وتعريف أخلاقنا السياسية، وقد تطور موقفه مؤخرا من الخطاب الديني تطورا كبيرا إلى حد الإقرار أن قدرة الكلام الديني على طرح مزيد من الحدوس يجعله وسيلة جادة للتوصل إلى مضامين حقيقية (هابرماس، وآخ، 2013، ص90)، إن هابرماس في هذه المرحلة بدأ ينفتح على الدور العمومي للدين بدل الاكتفاء بالدور الذاتي الفردي الذي ينحصر في البعد الذوقي، فنتيجة لتزايد الاهتمام بفكرة الدين في الساحات القومية أصبح مهم وضروري إعادة الاعتبار للحقائق الدينية، لأن الدين أصبح يؤدي وظيفة مهمة داخل المجتمع يقول هابرماس"إن الديني كسب النفوذ ليس فقط على مستوى العالم ولكن كذلك داخل الفضاءات الوطنية العامة، أنا هنا أتحدث عن حقيقة الكنائس والمنظمات الدينية التي تضطلع بشكل متزايد (مجتمعات للتفسير) في المجال العمومي داخل المجتمعات العلمانية، ويمكنها أن تصل إلى التأثير على الرأي العام وستساهم في القضايا الأساسية بصرف النظر عما إذا كانت حججها مقنعة أو قابلة للاعتراض" (عطار، أ، 2012، ص 66)

3- ما بعد العلمانية وإعادة بناء العلاقة بين الدين والعلمانية (نحو فهم جديد للعلمانية):

لقد شهدت الفترة المعاصرة من تاريخ الفلسفة تبلور مفاهيم جديد ومواقف فلسفية لم تكن موجودة في المراحل السابقة مما يوحى بأن هناك لحظة تحول وانقلاب حتى على المفاهيم التي شكلت اللحظة السابقة والقول بنهايتها على غرار الحداثة العلمانية ... الخ، ولكن هذا التحول من مرحلة إلى مرحلة أخرى أبان عن أن لكل حقبة زمنية مفاهيمها الخاصة بها تنتجها ظروف وأحداث

وتحولات وفق واقع معين ومن بين المفاهيم التي ظهرت على أنقاض المفاهيم السابقة نجد ما بعد الحداثة، ما بعد العلمانية ... الخ والتي جاءت للإشارة بأن هناك وعي جديد صاحبه موجة من النقد هدفها تصويب وإعادة النظر في ما انتهت إليه المفاهيم السابقة .

مفهوم ما بعد العلمانية :إن ما بعد العلمانية كحالة وعي جديد جاءت لتعيد الاعتبار لدور الدين الذي فقد وهمش منذ أمد بعيد بحث أزيح عن المشهد السياسي والثقافي وأصبح لا يلعب دورا في ترشيد العلاقات الاجتماعية منذ عصر الأنوار، إلا أن دوره بات واضحا اليوم في خضم التحولات الحاصلة في العالم المعاصر وهو ما أكد عليه صاحب مقترح مجتمع ما بعد العلمانية هابرماس حيث قال "كيف يمكن أن يستمر حتى يومنا الحاضر إزالة ما هو عقلاني في علم اللاهوت ومحتوياته الجوهرية في ضوء التمحيص النقدي الذي لا يقبل النقض للميتافيزيقا دون تدمير المبادئ الدينية أو العقل نفسه؟ (المحمداوي، ع، 2015، ص350)، إن ما بعد العلمانية يدخل ضمن نطاق الما بعديات التي أفرزتها الحداثة الغربية ويصعب الوصول إلى تحديد تعريف دقيق مدام هناك عدم اتفاق بين الفلاسفة والمفكرين يشير عبد القادر بوعرفة إلى فكرة مهمة في كتاب سؤال ما بعد العلمانية إلى أن مصطلح ما بعد العلمانية لا يعود في أصله إلى هابرماس بل يعود إلى جون كين ولكن جون كين لم يستطع تسويق المصطلح كما فعل هابرماس يقدم جون كين ما بعد العلمانية كأحد المفاهيم التي يمكنها إعادة توزيع الدين في النسيج الاجتماعي وفق ديمقراطية نوعية (الديمقراطية الر قابية)تعمل على حلحلة المأزق الديمقراطي المعاصر، وتحرير المجتمع من هيمنة الديمقراطية الموضعية (ربوح، وآخ، 2015، ص205)، ولكن تعريف بيرغر يقربنا نوعا ما إلى دلالة المصطلح الذي يعني له: " حالة وعي تتعايش فيه الرؤى الكونية للدين مع الرؤى العلمانية للكون ورأى أن تعايش الرؤى الكونية الدينية والعلمانية والتطلعات الدينية والعلمانية في المجتمع والسياسة وصيغ فهم الدين والعلماني والحاصل ما توصل إليه بيرغر هي السمة المميزة لمجتمع ما بعد العلمانية هي في توتر مستمر " (محمود، ح، 2019، ص17) من خلال هذا التعريف ندرك أن هناك فكرة مهمة راهن عليها هابرماس في مقترحه هي محاولة تقريب الفهم بين الديني والعلماني، إن حالة الانسداد التي وصلت إليها العلمانية اليوم في المجتمعات الغربية بسبب عدم مواكبتها للحياة المعاصرة وإقصاء الجانب الروحي للإنسان والاهتمام بالجانب المادي عجل ذلك بالتفكير في كيفية تصحيح وتصويب انزلاقاتها من طرف العديد من الفلاسفة والمفكرين خاصة وتزامن ذلك مع فترة المراجعة النقدية للتراث الثقافي في الفكر الغربي " يحيلنا تحليل أسباب ظهور ما بعد العلمانية إلى القول بأن الفكر الغربي وصل إلى درجة قصوى في سلم التطور، فلم تعد المفاهيم التي حركت نهضته الأولى قادرة على التزامن مع متطلبات الحياة المعاصرة وحركية الإنسان الغربي ولهذا أنتج الفكر الغربي مجموعة من المفاهيم الما بعدية أشهرها

ما بعد الحداثة ما بعد العقلانية ما بعد الإنسانية ... (ربوح، وآخ، 2015، ص 203)، إن مجتمع ما بعد العلمانية حسب هابرماس يقوم على الحوار والتواصل لتجاوز الإقصاء والتهميش بين الفكر الديني والفكر العلماني، وتجاوز العنف وعدم احتكار الحقيقة المطلقة وادعائها سواء من طرف المتدينين أو العلمانيين وفق منطلقات وشروط لابد من احترامها من طرف الجميع " إنها دعوة صريحة للجماعات الدينية للانخراط في الحياة السياسية فهو أمر مقبول شرط عدم ممارسة العنف أو منطق الإكراه من جهة نظر الدولة الليبرالية فان المجموعات الدينية لا يمكن نعتها بالمعقولية إلا إذا نبذت العنف بطريقة مقصودة وأن لا تفرض حقائقها الإيمانية بالقوة (المحمداوي، وآخ، 2013، ص285، 286)، نتيجة للأحداث التي وقعت في العالم على المستوى السياسي كأحداث 11 سبتمبر2001 وارتباطها بظهور مسائل جديدة كالإرهاب والتطرف الديني والأصولية جعلت هابرماس يعيد التفكير في كيفية إيجاد حل للتوتر والصراع الحاصل بين الدين والعلمانية حيث يقول " كان الحادي عشر من أيلول انفجار التوتر بين المجتمع العلماني وبين الدين انفجار من طبيعة مختلفة (هابرماس، ي، 2006، ص2013)، فمن خلال اللقاء الذي جمعه مع الكاردينال " راتسينغر استطاعا تحديد الهدف الأساسي الذي يقيم عليه هابرماس مقترحه مجتمع ما بعد العلمانية وهو إعادة بناء العلاقة بين الدين والعقل وفق شروط وآليات تضمن الاندماج الاجتماعي وتتجاوز حدود العرق والدين يقول راتسينغر " أجد نفسي متفقا مع ما قاله السيد هابرماس حول المجتمع الما بعد علماني (هابرماس، راتسينغر، 2013، ص 80)، إن هدف هابرماس الأساس من مقترحه مجتمع ما بعد العلمانية هو محاولة إزالة التعارض بين العلمانية والدين وفق آليات تتطلب التجسيد من طرف الموقفين المتعارضين للخروج من الأزمة والانخراط في التعلم المتبادل بينهما بدلا من ادعاء كل منهما أنه يمتلك الحقيقة لأن ذلك قد يزيد من حدة الصراع، والهدف هو التأسيس لعقل منفتح " دون أن يتخلى عن استقلاليته، لأنه عقل يظل منفتحا على ظاهر التأثير المتبادل الذي يمكن أن يأتي من الجانبين (هابرماس، ي، 2006، ص128)، إن العالم اليوم يشهد صراعا بين العلماني والإيماني، فكلاهما يتهم الآخر بتعقيد المشهد الإنساني وتأزم حياة الإنسان خاصة في عصر غياب الأخلاق وفضاء الروح (ربوح، وآخ2015، ص198)، إن اقتضاءات النقاش داخل الفضاء العمومي تستوجب أن يقدم الدين حجج عقلانية استدلالية بعيدا عن التطرف والتعصب سواء الديني أو العرقي أو اللغوي أو أي نوع يعيق الانسجام الاجتماعي وتحقيق العيش المشترك، وعلى الطرف العلماني كذلك أن يكف عن ادعائه بأنه يمتلك الحقيقة فيجب عليه الإنصات للدين وذلك لأن التطورات العلمية اليوم تفرز تقدما هائلا في مجال التكنولوجيات البيولوجية مسائل على الدين مناقشتها " إن مجال البيوتكنولوجيا وما تعلق بها من مواضيع الاستنساخ، الإجهاض، الموت الرحيم، تستدعي المناقشات استخدام لغة

دينية قد تكون مترجمة (نابت، ع، 2019، ص192)، فاستبعاد العنصر الديني في مثل هذه المسائل يهدد بقاء الإنسان لأن هناك غياب للوازع الأخلاقي، "يكون هذا وفق أسس أخلاقيات الحوار والمناقشة العقلانية والتي يلتزم فيها كل طرف مشارك في الحوار احترام مبادئ وقناعات الطرف الآخر والتأسيس بذلك لما يسمى بالتعايش السلمي بين الأديان والثقافات" (محمود، ب، 2021، ص129)، لأن الحوار هو العامل الأساسي في تحقيق التفاهم والانفتاح على الآخر "يعتقد هابرماس أن مجتمعات ما بعد العلمانية نشأت وستنشأ من خلال تغير الوعي البشري، فالوعي الأنواري في الغرب أدى إلى إنتاج صدمة تاريخية تتمثل في موت الإنسان، وقد أدى إعلان موت الإنسان إلى البحث عن وعي جديد يعيد للإنسان وجوده العيني الخالص" (ربوح، وآخ، 2015، ص209، 210)، يلاحظ أن هناك الرجوع إلى الوعي الديني في معالجة قضايا مجتمعية مطروحة على المجتمعات العلمانية المعاصرة لما يمتلك هذا الوعي من قوة معيارية، إن هابرماس في حديثه عن المجتمعات ما بعد العلمانية فهو لا يتحدث عن أنها مجتمعات لم تعد علمانية بالعكس فهي مجتمعات لا تزال علمانية والعلمانية ترسخت في الغرب، " إذن هي وضع يتيح الشراكة بين المؤمن وغيره في رحاب فضاء تعددي يقبل الديني مشاركا في صنع التشريع بطريقة علمانية لأجل ذلك كتب هابرماس مكررا معززا فكرته في إمكانية العيش تحت إطار العلمانية بالنسبة للمتدين على خلاف العكس الذي هو غير ممكن بطبعه وهو العلمانية تحت مظلة الديني (المحمداوي، ع، 2013، ص250، 251)، وهذا ما أكده كذلك في مقاله ماذا نعني بمجتمع ما بعد العلمانية ؟

تحديث الوعي الديني:

يدعو هابرماس إلى تجديد الوعي الديني من خلال تغيير نظرة المتدينين إلى العلمانيين بمنظور سلبي إقصائي، صحيح أن هناك عودة قوية للدين في عالمنا المعاصر ولكن هذه العودة مصحوبة بالعنف والتطرف لذلك يجب على المتدينين أن يطوروا موقفا معرفيا وابتكار أسلوب حجاجي هدفه الفهم وعدم ادعاء الحقيقة واحتكارها، إن تعبير ما بعد العلمانية ليس دعوة إلى الدين التقليدي الذي يرى في التحديث والعلمانية عدوا، ولا إلى ممارسة الطقوس اللإنسانية، وإنما هو تجديد الوعي الديني لدى الأفراد والجماعات. (ربوح، وآخ، 2015، ص211) فلا بد للوعي الديني أن ينفتح على التحولات والتغيرات الموجودة داخل الفضاء العام ويكون هذا التحديث عن طريق :

-يجب على الوعي الديني أن يبذل مجهودا ليتجاوز التفاوت المعرفي الذي لابد أن يبرز من الالتقاء بالطوائف أو الديانات الأخرى.

-وعلى الوعي الديني أن يتماشي مع سلطة العلوم التي تحتفظ بالاحتكار الاجتماعي للمعرفة على العالم .

-ولا بدأن ينفتح الوعي الديني على أولويات دولة الحق الدستورية (المحمداوي، ع، 2013، ص250)

الترجمة الدلالية للمضامين الدينية : إن التقاليد الدينية تتضمن مضامين دلالية من طبيعة أخلاقية في شكل صور وحدوس وهذه المضامين الأخلاقية قابلة لأن يكون لها صدى كوني داخل الفضاء العام خاصة وأن هناك غياب كلي لفضاء الروح، هنا تحديدا يكون المطلوب من الجماعات الدينية ترجمة أفكارهم إلى لغة مفهومة تعتمد على المنطق والحجج العقلية لكي تنخرط في النقاش العام، لأن الاعتماد على حجج دينية قد لا تجد أي صدى لدى العلمانيين وعليه لابد من ترجمة الحجج الدينية إلى حجج معلمنة لكي يكون هناك فهم سليم، إن محاولة هابرماس هنا تهدف إلى استنطاق المضامين الموجودة في الدين والتي تخدم الأفراد الموجودين في الفضاء العام بشرط أن تكون مقبولة لدى الجميع وليس المقصود هنا العودة إلى الدين الكلاسيكي، فالتجديد هنا يكون من داخل الدين نفسه في صورة استدلالية عقلية، فمدام المتدينون لهم الحق في التعبير فلهم ذلك بشرط تقديم أدلة وحجج عقلية تساير العالم المعيش لاستثمارها والانخراط في التعددية الدينية والنشاط الديمقراطي داخل الدولة الدستورية والتخلص من الانغلاق الديني الذي ساهم بشكل أو بآخر في انتشار العنف والأصولية، على ضوء ذلك يمكن اختزال ملامح مجتمع ما بعد علماني في أربع خصائص:

-أولوية دولة القانون الدستوري وما يستلزم ذلك من حياد بشأن التعدد الديني والاعتراف بالحقوق الأساسية لكافة المواطنين

-أولوية الحجج العلمانية في الاستعمال العمومي للعقل بوصفها مصدرا للمعيارية

-أولوية العلم باعتباره مصدر المعرفة بالعالم الخارجي

-الاعتراف بتعددية دينية سليمة وبالتالي يجب على كل فرد أن يعيش حياته وفقا لخياراته وقناعاته (خمسي الدريدي، 2021، ص29)

***- خاتمة :**

يمكن الوصول إلى عدة استنتاجات عبر عرضنا لمسالة عودة الدين داخل الفضاء العمومي والذي كان موضوعا بارزا جعل هابرماس يراجع موقفه المجحف في حقه لأن هناك دور ومكانة للدين داخل هذا الفضاء لا يمكن تعويضها ومن هذه الاستنتاجات :

-الرؤية الهابرماسية في البداية كانت تستبعد الدين وتحصره في النطاق الشخصي هنا بطبيعة الحال كان متأثرا بالتيارات المعادية للدين كالماركسية وغيرها، لكن فيما بعد ونتيجة للتحولات والتغيرات التي حدثت في الساحة السياسية والثقافية وتزايد فكرة الاهتمام بالدين غير هابرماس رأيه اتجاه الدين وبدأ ينفتح على الدور العمومي للدين بدلا من الاكتفاء بالدور الذاتي باعتبار أن

الدين أو الجماعات الدينية تؤدي وظيفة داخل الفضاء العمومي خاصة إذا ترجمت مضامينه الكونية إلى لغة علمانية يفهمها الجميع.

- بالرغم من استمرار مسار التحديث إلا أن الدين يبقى حاضرا في خضم هذا التسارع التقني الذي يحاول إقصائه وتهميشه

- من خلال مقترح هابرماس مجتمع ما بعد العلمانية يدعونا لإعادة التفكير في العلمانية وفي ماهيتها وإعادة النظر في علاقتها مع الدين وفق مبدأ الاعتراف والتسامح وفتح المجال للجماعات الدينية للانخراط في الحياة السياسية بشرط أن تتعقلن وتتخلى عن الادعاء بامتلاك الحقيقة

- إن هدف هابرماس هو تحقيق الاندماج الاجتماعي والقضاء على الصراع القائم بين العلمانية والدين وما ترتب عنه من عنف وتهميش وتطرف.

-جلي إذن كيف تحددت منزلة الدين ضمن المشروع الهابرماسي من خلال جعله أحد المحاور الأساس في مناقشاته.

- هاجس هابرماس هو وضع قواعد عقلانية أخلاقية كونية يحتكم إليها المشاركون خلال نقاشهم في الفضاء العمومي رغم اختلاف مرجعياتهم الثقافية والدينية، فهو يؤكد حقيقة مهمة مفادها أن الدين لا يمكن بأي حال من الأحوال إقصائه أو تغييبه عن الفضاء العام أو حتى الحد من دوره لأنه يمتلك خزانا للمعاني وقوة معيارية تستفيد منها الحضارة.

- إن هابرماس يسعى من خلال مشروعه إلى نوع من المؤالفة بين الديني والعلماني يتم بموجبها إعادة البناء وترسيخ القيم الإنسانية وفق أخلاقيات الحوار والمناقشة العقلانية.

- بالرغم من التباينات حول حدود حضور الدين في الفضاء العام لا يمكن أن ننفي حقيقة يؤكدها هابرماس مفادها أن للمسالة الدينية حضورا واضح معالمه في المجال السياسي فهو يحتوي على منظومة معيارية يمكن الاستفادة منها كقوة روحية مؤطرة للأفراد والجماعات .

**

قائمة المصادروالمراجع:

المصادروالمرجع باللغة العربية:

أولا: المصادر

1-يورغن هابرماس، 1990: القول الفلسفي للحداثة، تر: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا .

2- يورغن هابرماس، 2006، مستقبل الطبيعة البشرية، بيروت، لبنان، المكتبة الشرقية

3- يورغن هابرمس وآخ، قوة الدين في المجال العام، 2013، تر:فلاح رحيم، بيروت، لبنان، دار التنوير للطباعة والنشر.

4- هابرماس، ي، ور، جدلية الدين والعلمنة، 2013، بيروت، لبنان، جداول للنشر والترجمة والتوزيع.

ثانيا :المراجع

1-حيدر، م، 2019، ما بعد العلمانية مقاربة تحليلية نقدية لمنشأ المفهوم ومآلاته، بيروت، لبنان، دار مخطوطات العتبة العباسية، المركز الإسلامي للبحوث الإستراتيجية

2- مصدق، ح، 2005:يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، المركز الثقافي العربي (د، ط)

3-سلفاتوى، ا، 2013، المجال العام، الحداثة الليبيرالية والكاثوليكية والإسلام، تر: احمد زايد، المركز القومي للترجمة القاهرة ط1.

4-زتيلي، خ، 2014، الفلسفة السياسية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1

5- عبد اللاوي، ن، 2012، الهوية التواصلية في تفكير هابرماس، دار الفارابي، لبنان، ط1

6- المحمداوي وآخ، 2014 الماركسية الغربية وما بعدها، منشورات ضفاف والاختلاف، ط1

7- المحمداوي وآخ، 2013، "يورغن هابرماس"العقلانية التواصلية في ظل الرهان الإتيقي في نقد العلموي والديني والسياسي، وهران، الجزائر، ابن نديم للنشر والتوزيع

8- المحمداوي، 2015، الإشكالية السياسية للحداثة من (فلسفة الذات الى فلسفة التواصل) بغداد، العراق، دار ومكتبة عدنان

9- نابت، ع، 2019، المسألة الدينية في فلسفة يورغن هابرماس، الجزائر، نواصري للطباعة والشر، ط1

ثالثا: المجلات

1-الهلالي، ع، 2018، عودة الدين إلى الفضاء العمومي في مساءلة المشروع العلماني، الرباط، المغرب، مجلة الباب لدراسة الدين والسياسة والأخلاق، ع2

2- بديار، م، 2021، عودة الدين إلى الفضاء العام قراءة في آراء هابرماس، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، ج وهران02، ع01

3- عطار، أ، 2012، هابرماس والعالم الإسلامي، مجلة اللوغس، دار كنوز للنشر والتوزيع ع الأول.

4-عبد الرزاق، ب، 2010، عودة المكبوت الديني في الثقافات المعاصرة، مجلة قضايا إسلامية، ع43-44: بغداد مركز دراسات فلسفة الدين

5- غفاري، ح، بهرام، م، دور الدين في الفضاء العمومي، دراسة في رؤية هابرماس الفلسفية، مجلة الاستغراب ع8 بيروت، لبنان، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية

6- الدريدي، خ، 2021، إعادة التفكير في منزلة الدين في الفضاء العمومي أو اجرائيات الالتقاء بين المؤمن والعلماني وفق يورغن هابرماس، مجلة تطوير ع8

7- نور الدين، ع، 2014، هابرماس ومفهوم الفضاء العمومي، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، ج وهران02، ع 04

8- قداوي، م، 2021، العقلانية التواصلية والسياسية عند يورغن هابرماس، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، ج وهران 02، ع01.

رابعا: المصادروالمراجع باللغة الأجنبية:

1-Habermas Jürgen, 2012,droit et démocratie Entre Faits normes gallimard .Franes

2-Habermas Jürgen, 1988, le Discours philosophique de la modernité ,Douze conférences ,trad:Chritian Bouchindhomme et Rainer Rochlitz, é d Gallimard.